نـافـذة

فرضية الارتياب

تقوم ومن ثم تنتشر بين المجتمعات التي لا تتطور فيها نظرية الإيمان بالمجتمع الذي يبقيها نظرية، معتبراً إياها هامشية، أي لا يأخذ بها إلى البحث في ردّ الفعل، ويدعها تفعل فعلها بين جنباته، وفي هذه الحال نجد أن الأسافين بين أطياف المجتمع تأخذ طريقها بسهولة، ما يصعب العمل على إزالتها من أجل العودة إلى بناء المجتمع، وأكثر من طبيعي أن تدخل الدولة في حالات ارتباك وتردد وقلق حول كيفية التعامل مع النتائج السلبية وكيفية تجاوزها، فالصدمات المعنوية التي تتكشف من جراء وصول الارتياب إلى أعلى درجاته تتطلب وعياً استثنائياً وصنّاع رأي واقعيين، يملكون قدرة التأثير المباشر في أمزجة المجتمع بكل ألوانه مع الاستفادة القصوى من أسباب تدحرج الارتياب، حيث أثبتت التجارب أنه الممهد الرئيس لداء العنف، أياً كان شكله، فردياً أم جماعياً، طائفياً أم إثنياً، وأن احتواءه وعلاجه معاً، أي في وقت متزامن، يؤدي إلى القضاء عليه.

الارتياب ينشئ الخبث والضغينة، ويحوّل الفرد إلى ازدواجية متنافرة، فإذا انتقل إلى المجتمع أحدث فيه التفارق، وأفقد إدارة الدولة إلى حدّ كبير القدرة على إعادة توحيد المجتمع، وأخّر عمليات اجتثاث العنف ودحر الإرهاب. فنحن إذ نتابع مجريات الأحداث العالمية، ونحلل ما نقدر عليه منها، نجد أن الكثير من الإشارات تأخذ بنا للشك والارتباك بأن هناك دولاً عديدة تقوم بعمليات نقل الماضي البغيض، وبشكل خاص ما ساد أيام القرون الوسطى وما قبلها، تلك التي سادتها أفظع العمليات الهمجية من الحروب ومجرياتها، من قطع للرؤوس، وسحل للأجساد، وحرق جماعي، محدثة الكوارث الاجتماعية مع تدمير هائل للبنى التحتية الفوقية في كثير من الدول، ما يشير إلى أن نظرية الفوضى الخلاقة التي طرحتها أمريكا تجري في دول الغرب، أي التغيير من دون حروب في أوروبا وأمريكا والفوضى الهدامة التدميرية في عالم الجنوب، حيث التغيير يكون عبر أقسى أنواع الحروب، أي عبر الإرهاب، وأهم أشكاله إحداث الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد، ومن ثم تغذيته بشتى أنواع الأسلحة، وأيضاً محاولات منع الوصول إلى الأفكار التصالحية، أو إيجاد التسامح، وإن حدث نحاول تأخيره من خلال اللعب على الوقت.

دققوا فيما أنحو إليه تجدوا أن الارتياب غزا عقول الجميع، أفراداً ومجتمعات ودولاً، ودخل إلى عقول الساسة والاقتصاديين والمتدينين، فالطروحات تحمل الشك في كل شيء، في المناخ الذي يهدد كوكبنا الحي في الصحة العامة والخاصة، في الأنظمة الغذائية المتبعة ومكوناتها، في الحروب المنتشرة والقادمة على الماء والهواء والغذاء، وفي الهجرات من الأرياف إلى المدن، ومن الجنوب إلى الشمال، في التصارع الزراعي والصناعي والتجاري، وهنا نسأل: من المسؤول عن كل هذا؟ وما الذي يجري على كوكبنا الحي؟ ولماذا ومن أجل ماذا أيضاً نبحث معاً في مسألة الوعي وظهور مؤشرات كبيرة إلى أن الحداثة المعاصرة مأزومة لدرجة كبيرة؟ فأين النضج الفكري والعلمي أمام ما نراه من صراع بين الإنسان والحياة من أجل بقائه عليها، وبلوغ أشكاله ذروة المواجهة والشواهد الكارثية أمامنا؟

ماذا يعني الثراء العالمي المنحصر في أياد خفية تقود دولاً وأمماً؟ حيث يظهر في أعلى درجاته ضمن زمننا المشاهد، هل حقيقة أم وهم ما نراه من عمليات استثمارية كبرى؟ فهي لا تنعكس على المجتمعات، إنما تدخل خزائن الأفراد، ما يشير أيضاً إلى أن تقويض العالم آيل لا محالة، ولذلك لم تعد القيمة السوقية ذات مصداقية، والسبب انتقال الأموال من الاستثمارات الخاصة، وهذه بحدّ ذاتها المسؤولة عن إنشاء الأزمات الاقتصادية التي تقود إلى الأزمات الاجتماعية أولاً، وتضخ الارتياب بين أفرادها، ما يؤدي إلى نشوء الفتن والإرهاب، والتجارب التاريخية الممتلئة بالسوابق والتقاليد التي مرت ثانياً، فيستخدمها الغرب وفي اعتقاده أنها تمنحه القدرة للخروج الآمن من أزماته بأقل الخسائر الممكنة، حيث يجني منها أكبر الفوائد، كما أن السياسات الغربية ممتلئة في إبداع فنون الحروب التي تنقلها إلى عالم الجنوب، ومن ثم تقوم بالمساومة الدقيقة التي تأخذ بالحسبان المصالح المعقدة.

إن ضياع الحقيقة وفقدان العدالة يدفعان بالارتياب إلى اختراق الحياة الاجتماعية والإنسانية، هذه الفرضية التي تطورت رويداً رويداً إلى أن أصبحت عامة، بدأها الاستعمار الأوروبي الذي اعتمد نظرية احتواء الأكثرية الملونة بالقوة المفرطة، بكونه أقلية بيضاء، وعلى العكس تماماً من قاعدة الاحتواء التي تقوم على احتواء الأكثرية للأقلية، ما أنشأ ردّات فعل عنيفة دعت الغرب بعد أن انضمت إليه أمريكا بالاستثمار في نظرية احتواء الأقلية للأكثرية التي عممتها، لأن المصالح الاقتصادية أكبر من فكرة الحروب، ولذلك نجدها أبدعت في طرح فلسفة العصا والجزرة، وهنا أؤكد أن المؤرخين سيتوقفون طويلاً عند العوامل التي تقف خلف تطور الإرهاب وعواقبه الكارثية ونظم مكافحته، فبحوثهم أيضاً ستطول إعادة التوازن وإرساء العدالة الدولية بين عالمي الشمال والجنوب، وللحق أقول: إن تشخيص المشكلات أسهل بكثير من معالجتها، لأن أي مشكلة بعد حدوثها يكون خطرها أكبر بكثير قبل حدوثها، وهنا أسأل كما الجميع يبحث عن أجوبة: هل يعترف العالم بأسره عن أسباب تطور مشكلاته؟ أم إن الكل يهرب إلى الأمام؟ فتبقى تلاحقه من دون هوادة، وهذا بحدّ ذاته ما يحدث التخلف وعمليات التطور والتقدم، وبالطبع يتحقق بذلك ما ينشده الغرب برمته، وعلى رأسه أمريكا، لأن جميع أحداث العنف صغيرة كانت أم كبيرة، إثنية أو طائفية أو حتى أيديولوجية، لها منشأ تتجسد شرارته الأولى في وقوع حالة الارتياب، ومن ثم نبحث عن تغذيتها وعمن يقوم بذلك، إذاً، معرفة المهيمنين والعمل على كسر طوق هيمنتهم يؤديان إلى إنهاء هذه الفرضية وفتح فضاءات مهمة لبناء علاقات اجتماعية متنورة ومتطورة، تواكب ما تهدف إليه.

إن دقّ ناقوس الخطر غدا أكثر من ضرورة، وخاصة ضمن عوالمنا التي لا تمتلك الكثير من وسائل الدفاع عن وجودها، أو ما يهدد اختراقها عبر دس المشكلات بالتتابع، فالذي حدث منذ دخولنا الألفية الثالثة وحتى اللحظة خير دليل، فكيف بنا نواجه هذه المشكلات؟ وخاصة أن التكنولوجيا باتت سياسية وعسكرية واقتصادية، وهي تخدم بعضها، وإن وصلتنا فإننا لا نمتلك نواصي أسرارها.

ألا يرسم كل هذا أشياء مقلقة في حياتنا؟ ألا يدعونا ذلك للاستثمار في الإنسان فكرياً وعلمياً، وتدريبه على التخلص من الريبة وتوجهه للإبداع وابتكار الحلول المفيدة لبناء أسرته والإسهام في تكوين مجتمعه والنهوض به؟ أولم يشاهد ما حصل لهذا البلد وذاك بعد أن زرعوا الريبة والتهديد والقتل والتدمير باسم حقوق الإنسان والدعوات إلى الحريات المزيفة واستخدام الغرب وأمريكا للمعايير المزدوجة في تعاملهم؟ وكل ذلك من أجل تأمين مصالحهم على حساب مصالح شعوب الأرض.

فرضية الارتياب تظهر وتتطور نتاج انتشار الجهل والكسل والتواكل، أو عن التعامل مع بيئة غير معلومة بشكل علمي، وهي تختلف عن الشك الذي يتشكل من المشاعر والأحاسيس البشرية، وتختلف أيضاً عن الخوف الذي هو أيضاً شعور يصيب العقل الإنساني، الذي يترقب حدوث أمر سلبي وضرورة الأخذ بالبحث عن ماهية وأسباب انتشارها، ومن ثم معالجتها بالحكمة والعمل الدؤوب، الذي يوصل إلى الارتقاء بشخصية الإنسان، ودفعه للانخراط بالعمليات الحياتية المنتجة، هذه التي تبعد عنه التفكير السلبي، الذي يعدّ لا إنسانياً، وبذلك تكون هذه النقطة مهمة جداً وخطوة رئيسة ضمن مسيرة القضاء على الإرهاب.

د. نبيل طعمة

ترجمان الأشواق ودمشق المنكوبة أمام الكاميرا

شخصيات استطاعت تجسيد الوجع السوري بصوفية تبدأ من العنوان وتنتهي بالتفاصيل

ثناء خضر السالم

سأفترض وفق متابعتي لهذا المسلسل العميق أنه أخذ اسمه من عنوان كتاب لابن عربي يدل على حب يفيض به النص، حب يلمّ الجميع تحت سقف واحد هو دمشق.

دمشق المنكوبة بالإرهاب تختال عبر الكاميرا– وقد صوّرت من علو– بأبهى حلّة، تزدان بيوتها بالكنبات المشغولة على طريقة (الدامسكو)، كيف لا وهي أصل العراقة. هذه الكاميرا التي رصدت المقبرة والأمكنة المتضررة، رصدتها برؤية بصرية عالية لم تنفرنا من الدمار بل جعلتنا نتوجع ممّا حصل.

يتمحور الحدث حول ثلاث شخصيات جمعهم الاتجاه اليساري، وتفرقت بهم السبل فأحدهم سافر وهو سجين سابق والآخر نحا منحى صوفياً والثالث بقي على مبادئه وزاد عليها العبثية التي وسمت شخصيته في جزء ليس بيسير من المسلسل.

نقف في هذا المسلسل أمام نص جميل وإخراج جميل وأداء مميّز للجميع من أصغر دور إلى أكبر دور، حتى الطفل ذو السنتين ينادي تحسين بابا وكأنّه أبوه حقّاً.

شخصيات العمل

الدكتور زهير (طبيب الجراحة العصبية) – غسان مسعود– الذي ترك الاتجاه اليساري وأخذت حياته منحى صوفياً، فتقوم حياته على حب الناس من دون انتظار محبتهم، سنجد طقوس الصوفية تُعرض لأوّل مرة في الدراما السورية، وسنقف أمام ضريح محيي الدين ابن عربي، وسيردّد الدكتور زهير بعض مقولات الصوفية التي تصلح للنّاس جميعهم وليس للمتصوفة فقط مثل (كل نهاية لا يصحبها حال البداية لا يُعوّل عليها). (النّاس نيام إذا ماتوا انتبهوا).

الهدوء في شخصية الدكتور زهير يبعث الطمأنينة والسكينة في النفس وقد ورد على لسانه مقولة أحببتها كثيراً (أصحاب القلوب الكبيرة يموتون بحزن صغير).

أخلص الدكتور زهير لزوجته المتوفّاة وعاش وحيداً فابنه وابنته بعيدان يكملان دراستهما، وعاش وحيداً مع التصوف ومهنة الطب والمصالحات التي أرهقت تجار الحرب، فنجح في نزع السلاح من يد بعض الجماعات وإعادتهم إلى حياتهم السابقة، كما نجح في الإفراج عن بعض المخطوفين والمخطوفات. (ففي الحرب يصبح الخطف أمراً عادياً ومألوفاً عند الناس، وكأنّ القصة قصة رجل كُسِرت، هذا ما ورد على لسان إحدى الشخصيّات.

يقدّم الدكتور زهير في هذا العمل أنموذجاً للوعي والفهم والتمسّك بالوطن الذي هو أغلى من أي انتماء آخر، إنه الانتماء الحقيقي في حياتنا. موت الدكتور زهير مترقّب ومنتظر، فتجار الحرب أطراف متعددة يقتلون من يعمل لأجل السلام.

وننتقل إلى نجيب(عباس النوري) الترجمان المغترب والسجين السابق، الذي سار في الاتجاه اليساري، هاجر من البلد بطريقة غير شرعية تاركاً زوجته وابنته.

تستيقظ الأبوة في نجيب عقب اختطاف ابنته، فيقرر العودة إلى البلد للبحث عنها، نجيب لم يعرف الخوف طريقاً إليه إلا وقت سماعه باختطاف ابنته، وكأنّنا لا نعرف قيمة الأشياء إلا بعد ضياعها. ففي لحظة تتجلى فيها ابنته تخبره بأنّه أضاع عشرين عاماً من عمره في الغربة وضيّعها أيضاً. يلاحق المترجم تفاصيل ابنته من خلال النظر في مذكّراتها، وكأنّه يتعرّف عليها بشكل حقيقي بعيداً عن الأبوّة الافتراضية عبر المسنجر. نلاحظ أن نجيب يبحث في ابنته عن حياة ضاعت ووطن غارق في حرب ضروس.

تصلنا في مكالمة لنجيب مع فريدة (المرأة التي تشاركه البيت) أفكاراً مهمة تتعلق بأن التهديد الحقيقي للأنظمة بات ناتجاً عن فئتين: الطلاب والأقلّيّات، فيما يخص الطلاب ابتكرت الأنظمة لنفسها ثورات تحت الطلب والثورة الفرنسية مثال على ذلك. أمّا الأقلّيّات ابتكرت الأنظمة حلولاً لتمرّدها منها الاهتمام السينمائي المدهش بإبهاره، مثل فيلم العرّاب١٩٧٢ الذي ساهم في تنميط الأقلية الإيطالية الكاثوليكية في أميركا. عدا ما هو حاصل من ميديا وثقافة غرضها إشباع الرغبات المختلفة عبر استحقاقات اجتماعية وفي مقدمتها الإشباع الجنسي حتى عبر الأفلام الإباحية.

أحداث مستمرة

نجيب الذي أخذه الأمن وقت وصوله إلى بيته، وفي أثناء وجوده في السيّارة يحصل انفجار، لم يختر الفرار الذي كان متاحاً أمامه بل ركض لمساعدة المتضررين، هو إنسان ينتمي لوطن يحبه ويحب ناسه بغض النظر عن اختلافه معهم في الفكر، فالاختلاف لا يعني الخلاف وكلمة معارض لا تنسف سمة الولاء وحب الوطن، فكفانا توزيع اتهامات على البشر.

والمحور الثالث كمال (فايز قزق) الذي حافظ على اتجاهه اليساري وقد نحا في مرحلة من حياته منحى عبثياً ظهر من خلال علاقته بالراقصة شاليمار رغم أنه متزوّج عن حب وامتلاء فكري، نجده يغوص في متعة السهر والشرب والجسد، ليستيقظ بعد غفلة على تراجع صحة زوجته مريضة السرطان فيلازمها بحب لم يتوقف وإن غفا قليلاً.

وهو صاحب مكتبة الكلمة يطرح النص من خلال المكتبة تراجع القراءة وشبه انقراضها، فطاولات في المكتبة تقدّم المشروبات لروّادها هي من تدعم المكتبة ماديّاً. وفي النهاية يحوّل كمال المكتبة إلى مقهى ويبيع العامل عنده الكتب لمصلحة معمل كرتون، حقاً إن وضع الثقافة في بلدنا يثير الوجع.

يظهر كمال شخصاً مبدئيّاً، عندما يقول له العامل الذي يعمل عنده إن الطاولات تعفيش يجنّ جنونه، ويطلب منه أن يرميها خارجاً، فيحلف له كثيراً ليصدّق أن الأمر مزحة.

وهو الرجل الحقيقي الذي ينفر ذات مرّة من فكرة أن ترقص له شاليمار وكأنّها جارية وهو بذلك ليس أكثر من رجل يتباهى بفتل شاربيه وبذكوريّته وهذه التفاهة لا تشبهه.

أم نجيب(ثناء دبسي) المديرة المتقاعدة ذات الشخصية القوية والقلب الكبير القادرة على تحمّل أقصى درجات الوجع والقهر يحملها خوفها على ابنها إلى حرق الكتب اليسارية بعد أن أخذه الأمن في اليوم ذاته الذي وصل فيه. والمؤلم في عملية الحرق تزامنها مع رقص شاليمار في الملهى الليلي، لقطة لكتب تحترق لتصير رماداً ولقطة لخصر يهز لا أحد يقول له ما هذا؟ وكأنّ حرية الجسد مباحة وحريّة الفكر غير متاحة.

لا تشبه حياتنا

تقف أم نجيب في وجه تحرّر فريدة الذي لا يشبه حياتنا، فتتفق معها على أهمية الإنسان فقط، أمّا حضارة الغرب فصارت قوانين واحترموا حقوق الإنسان لكنها قوانين هشة يمكن تسقط بأي لحظة لأنّها فاقدة للقيم الأصيلة، أعطوهم الحريات وهي ظواهر، لو نزعنا القوانين التي تحكم الغرب إلا يفرط المجتمع.

تواجه الموت لأجل خبر عن حفيدتها وتحمل خبر موتها بجلد وقوّة ولا تخبر ابنها بسرعة حتى لا ترهقه طريقة تلقّي الخبر. ولعل أكثر ما أضحكني الطريقة التي استقبلت بها الدكتور زهير وكمال بعد عشرين عاماً تخرج من غرفتها تنظر إليهما بقسوة تقول(هادا أنتو) وتعود إلى غرفتها، فهي لا ترحّب بيساريتهما التي رمت ابنها في الغربة ولا ترحب بعودتهما إلى حياته.

وصال (شكران مرتجى) هذه المرأة المذهلة التي تواجه خيانة زوجها بصمت، وتؤنّب ابنها الذي أتاها بالخبر، طالبة منه ألا يتدخّل في شؤونها وشؤون أبيه. تعود وصال إلى عملها لتواجه المرض (السرطان) وهي تعمل في مجال المخطوطات. وهي التي ارتبطت بكمال نتيجة حب وفكر تكتم وجعها المزدوج بسبب خيانته أولاً وتفشّي مرضها ثانياً. تقضي البقية الباقية من عمرها بصمت وضحكة، تعالج إهمال زوجها وابنها وابنتها برضا وتهتمّ بوالد زوجها(حسام تحسين بك). مريض الزهايمر الذي أضحكنا بمغامراته وذكرياته. تتعب مع عمّها لكنّها تعود لتكمل بحبّ يزوّدها به ابنها الصغير يوري الذي لا يفارقها ويوجه كلمات قاسية لأبيه وأخته لأنّهما أهملاها.

شاليمار (نوّار يوسف) التي أبدعت في دور الرّاقصة فكانت خفيفة الظل والحركة وهو دور جريء وجميل بلباس يناسب عرضه في التلفزيون.

شاليمار العاشقة وجدت في كمال الحبيب المرتجى فهي تحتاج قلباً يحتضنها، وهذا ما تفتقده في حياتها نتيجة طبيعة عملها، فتكون صحوة كمال وعودته إلى عائلته ورحيله عنها فاجعة قاسية لا تستطيع تجاوزها.

الحضور الخاص

آنّا ابنة نجيب ذات الحضور السحري من خلال عرض مذكّراتها تصلنا بتفاصيل جميلة مثل قصة العطّار الذوّاق في تركيب العطر لمّا طلب منها أن تشمّ عطراً لم يعجبها، سألها إن شمّت رائحة حقائب ومطارات، لتدرك بعدها أنه سافر. قدمت لنا تفاصيل عن الحرب من خلال ميلها إلى الوثائقية، إنها العطر الفوّاح في هذا المسلسل.

تعاتب والدها في لحظة تجلّ بعبارة تؤكّد جهل مجتمعنا، فلا صوت للمفكر هناك صوت شيخ الجامع الذي قد يكون صوت باطل لا صوت حق، فالجوائز التي حصدها المفكرون والكتاب إن وضعت بكفة وبالكفة الثانية شيخ جامع أيهما يرجح؟

فريدة أقنعتنا بأنها تعيش في الغرب، تبرر علاقتها المفتوحة بنجيب وتنتصر لفكرة عيش مشترك حتى يتمكّنوا من الوصول إلى إعلان الزواج بشكل رسمي أو فرط العلاقة، فالحرية عندها لا تخضع لحدود والانفتاح ضروري لاختبار العلاقة. فريدة جاءت لتخبر نجيب بحملها منه من دون أن تلزمه بالولد وتعرّفت على أمّه وأخته لتضعهما في صورة علاقتها به وطريقة تفكيرها هي ونجيب.

نجوى أخت نجيب التي كرهت فريدة من وقت سمعتها تقول لنجيب على المسنجر إن ابنته قد تكون متورّطة بعلاقة مع شاب، هذا النّسف الأخلاقي لا يناسب طبيعة آنّا التي تعرفها، وكرهتها أكثر لمّا نسفت العرف والعادات وأعلنت علاقة غير شرعية بأخيها، نجوى تحب بلدها ترفض فكرة السفر وتريد البقاء مع أولادها وأمّها، تحاول إقناع زوجها فلا تستطيع.

تحسين المهندس الزراعي في البريد يتساءل ماذا سيقدّم في هذا المكان، يقدّم استقالته يبيع بيته بسعر زهيد ويسافر لاعناً الحرب متأمّلاً بغد أفضل لأولاده – الذين سيسحبهم– بعيداً عن صوت الرصاص وأشخاص يخرجون من بيتهم لا يعرفون متى يعودون. يسخر من فكرة تفشّي الموت بأنّه لو كان صاحب مطبعة لاغتنى من كثرة النعيات.

تحسين في هجرته وجد نفسه في ظروف أقسى من الحرب، فليست الهجرة بلاداً تفتح قلبها ويديها لاستقبالك، ليست بيتاً دافئاً وحياة أفضل، هذا ما ظنّه الأغلبية فكانت الهجرة انتظار موت شبه محتّم، لا يمكن لإنسان طبيعي أن يحتملها بسهولة. فهاهو ذا يعود بعدما خسر بيته وقاسى ما قاساه، لكنّه ربح أسرته.

وقف النص عند أزمة الماء في دمشق وأزمة المازوت وخلطه ماء وزيتاً واضطرار الناس إلى شرائه، وأزمة النفوس المريضة التي استهترت بنجيب الذي جاء إلى مخفر الشرطة ليسأل عن محضر ضبط ابنته المخطوفة فلم يردّوا عليه لأن الكهرباء مقطوعة. أزمة البشر الذي لم يعد يتحمّل أحدهم الآخر فيقتل بعضهم بعضهم الآخر على إشارات المرور، هذا إن لم يكن هذا مضمونهم الذي كان خفيّاً.

في هذا المسلسل نحن أمام حدث ناضج لا يطول ولا يقصر يأخذ حجمه الحقيقي، وأمام طاقات مذهلة في التمثيل وإخراج رائع، ترجمان الأشواق عمل جميل وممتع نشتاق دائماً لهذا النوع القوي في دراما.

وكالة «برنسا لاتينا» تحتفل بعامها الـ٦٠

السفير الكوبي في دمشق: الوكالة تعكس صلابة العلاقات الثنائية بين البلدين

سارة سلامة

لم تكن الحرب التي شنت على سورية مقتصرة على أرض المعركة بل شملت التهكم على أمن الوطن والمواطن في سكنه وعمله. لتشل معها عصب الحياة. كما تعرضت لحرب الكلمة والإعلام المضاد السلبي الذي كان له دور كبير في تلك الفترة، وتخلت قنوات عديدة عن مهنيتها وراحت تطلق أخباراً لا أساس لها من الصحة من شأنها أن تلعب دوراً نفسياً حين ذلك، ولكن مع كل هذا كانت هناك أصوات تصدح بالحق وتعمل وتبحث وتحضر بجانب الجيش السوري لتنقل حقيقة ما يحدث إلى العالم أجمع، فحدودها مفتوحة ومكاتبها مشرعة في الأميركيتين وصولاً إلى آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط، حيث افتتحت وكالة «برنسا لاتينا» مكتبها في دمشق عام ٢٠١١ عند بدء الحرب على سورية لأنها استشعرت بالخطر القادم ووضعت نفسها في خندق واحد مع الشعب السوري لتكون صوت الحقيقة في زمن الكذب والافتراء.

وفي بيت السفير الكوبي بدمشق احتفلت وكالة «برنسا لاتينا» بعامها الستين.

ممثل للحكومة الكوبية

وفي تصريح له قال السفير الكوبي في دمشق ميغيل بورتو بارغا: «اليوم نحتفل بذكرى تأسيس وكالة «برنسا لاتينا» الستين نظراً لأهمية العمل الإعلامي الذي كانت تقوم به، وفي حقيقة الأمر هي ممثل للحكومة الكوبية في سورية وتعكس صلابة العلاقات الثنائية بين البلدين، حيث سنحتفل خلال الأسابيع القادمة بالذكرى ٥٤ لتأسيس العلاقات بين سورية وكوبا، وستكون مناسبة وفرصة لتعزيز هذه العلاقات بشكل أكبر بجميع المجالات ومنها المجال الإعلامي أيضاً».

وأضاف السفير: «كان للوكالة دور مهم في نقل الواقع إلى كوبا وأميركا اللاتينية والعالم أيضاً والقارات الخمس من خلال مراسلي هذه الوكالة المنتشرين في جميع أصقاع العالم، علماً أن المراسلين لم يوجدوا في مكاتبهم فقط إنما كانوا مراسلين حقيقيين في أرض المعركة مع الجيش السوري يغطون ما يحدث في سورية وهذا الشيء أعطاهم مصداقية في نقل الخبر وفي الأخبار التي يقومون بنقلها وبثها للعالم».

السفير مع أعضاء وكالة برنسا لاتينا – تصوير: أسامة الشهابي

السفير الكوبي ميغيل بورتو بارغا

مواجهة الحملة الإعلامية المضللة

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» أكد مدير مكتب وكالة برنسا لاتينا في سورية بيدرو غارسيا إرنانديز أنه: «وفي خضم المبادرات السياسية التي تزامنت مع انتصار الثورة الكوبية عام ١٩٥٩، وبمبادرة من القائدين فيدل كاسترو وإرنستو غيفارا، تم تأسيس وكالة الأنباء الأميركية– اللاتينية (برنسا لاتينا) في ١٦ حزيران ١٩٥٩، وكان الصحفي والثوري الأرجنتيني هورهي ريكاردو ماسيتي أول مدير لهذه الوكالة. منذ تأسيسها، الهدف الأساسي لـ«برنسا لاتينا» كان العمل الدؤوب لمواجهة الحملة الإعلامية المضللة التي تقوم بها الولايات المتحدة ضد الثورة الكوبية، أما على الصعيد الدولي، فقد عملت وكالتنا على نقل الحقيقة في عالم معقد يتم تزوير واقعه والتلاعب به لمصلحة مراكز السلطة الاقتصادية والسياسية في الغرب».

وبين إرنانديز أن: «الوكالة تحتفل بعامها الـ٦٠ ولديها مراسلون في ما يقرب من ٤٠ دولة بدءاً من الأميركيتين وصولاً إلى آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط، وتقدم خدمات الأخبار والصور والفيديو ولديها العديد من المنشورات في مجالات الثقافة والعلوم والاقتصاد والرياضة. بتفان خاص، تقوم «برنسا لاتينا» منذ عام ٢٠١١ بتغطية الحرب الإرهابية المفروضة على سورية وهي حاضرة أخلاقياً ومهنياً وإعلامياً في الخندق نفسه مع أمة يقاتل شعبها وجيشها وقيادتها من أجل الدفاع عن السيادة والاستقلال والكرامة».

وأخيراً ختم بأنه: «كنا وما زلنا وسنكون الوكالة التي تضع نفسها في خدمة الحق والعدالة والمساواة والقضايا النبيلة، وسنستمر بالتعاون مع أولئك الذين يقدرون تلك المشاعر كما هو الحال في سورية».

الوكالة تصنع تاريخاً خاصاً

وبدوره أوضح الكاتب تيري ميسان أن: «وكالات الأنباء الكبيرة تساهم في خلق العديد من الأخبار، وغالباً ما تكون حصرية للولايات المتحدة وأوروبا. وتصر اليونسكو على التعامل مع جميع وكالات الأنباء، وعدم الاعتماد فقط على الوكالات الكبيرة. وحقيقة إذا لم يكن لدينا وكالة أنباء فلن يكون لدينا تاريخ خاص. ومن الممكن أن نشير إلى قناة «الجزيرة»، حيث إن الولايات المتحدة تحاول تغيير النهج الذي تتبعه القناة، بما أنها تتبنى سياسة الإخوان المسلمين، مع أن ذلك لم يكن نهجها في السابق.

يُذكر أن وكالة أنباء «تيلسور» قد تم إنشاؤها بهدف خلق تأثير مقارب لقناة الجزيرة، و«روسيا اليوم» أيضاً، إضافة إلى عدة وكالات أخرى، والحقيقة أن وكالة الأنباء إن لم تُحدث تأثيراً فإنها ستواجه مشاكل، ومنها عدم القدرة على إحراز أي تغيير.